الجيوش العربية قد تنتصر . ولكن كان هناك انذار اكيد بأن المسؤولية ستقع على عاتق القادة السياسيين اذا لم ينجح العرب في المعركة .

لم يلعب رأي الافتتاحيات دورا كبيرا خلال حرب فلسطين التي بدأت رسميا في الخامس عشر من ايار عام ١٩٤٨ . وقد خصصت عدة اعمدة للحوادث الجارية في فلسطين وخاصة في حيفا والنقب والقدس لكنها كانت مجرد قسم من اية جريدة معينة . وكانت الصحف تمتلىء باخبار حوادث فلسطين . وكانت الافتتاحيات المتعلقة بفلسطين في ذلك الوقت تشكل اكبر جزء من النشرة اليومية المخصصة لفلسطين . ولكن هذه الحالة تغيرت في نيسان وايار من عام ١٩٤٨ . ومع ذلك يجب ان لا يقلل من شأن دور كتاب الافتتاحيات . لقد حثوا قراءهم على الدفاع وطالبوهم بمزيد من الالتزام الوطني . وزودوهم بافكارهم حول كيفية كسب الحرب التي ستشن ، وحذروهم من النتائج المترتبة عن خسارة العرب . وبالاضافة الى القول بأن فلسطين كانت تقريبا الموضوع الوحيد الذي اتفقت الدول والحكومات العربية في الرأي حوله(٥١) نزيد فنقول ان رأي الافتتاحيات كان ايضا موحدا عندما بدأت الحرب . الا ان مراقبة المطبوعات حددت المواضيع التي يمكن بحثها بحرية وجعلت الصحافة السورية واللبنانية تكتب بعض المقالات التي يصعب استيعابها . واذا استثنينا بعض الحوادث الخاصة ، كالصدمة التي احاطت بسقوط حيفا ، فقد بقيت المقالات تتميز بتفاؤلها بالرغم من فقدان الاصالة في المحتوى . وعندما اصبحت الحوادث اهم من اي تعليق عليها، أخذت العناوين الرئيسية في الصحف تعكس رأي الافتتاحيات اذ انها كانت تفسر محتوى الرواية التي ستليها .

لقد خصصت صحيفة ( فلسطين ) بصفتها صحيفة فلسطينية كل عناوينها الرئيسية للحوادث داخل فلسطين . وجريدة « القبس » لكونها تمثل السوريين وربما لانها كانت اكثر الجرائد عاطفية من ناحية ارتباطها بفلسطين كما انها تحتل المرتبة الثانية من حيث نسبة تخصيص عناوينها الرئيسية للقضية الفلسطينية . اما صحيفة « اللوجور » اللبنانية فكانت اكثر الصحف هدوءا في عناوينها الرئيسية . واما جريدة « الاهرام » المصرية ، اذا ما قورنت بالجرائد الاخرى ، فانها تبدو منفصلة ومبتعدة عن القضية الفلسطينية . ان موقف « الاهرام » يبدو غير عادي ، وخاصة في نيسان ، حيث خصصت عناوينها الرئيسية لمدة خمسة ايام للانتخابات الايطالية . وبالرغم من الشعور العام بالثقة والاعتقاد بأن العرب كانت لهم اليد العليا خلال ايام القتال ، فان الحرب التي استمرت من ١٥ ايار حتى ١١ حزيران ١٩٤٨ لم تنته بالانتصار العسكري لصالح العرب . انهم لم يهزموا ولكنهم لم يكسبوا المعركة . لماذا اصبح النصر السريع وهما ؟ لقد تضمنت الافتتاحيات عدة اجوبة على ذلك . كان الرد السوري العادي هو ان الشعب ، وخاصة الموسرين منه ، لم يضحوا بما فيه الكفاية . « نتعجب ، اين هو شعبنا الغني واين هو كرمه ؟ »(٥٢). اما السبب الآخر الذي تدم للجواب عن هذه الخيبة فكان : « حقيقة لا مجال لنكرانها ، وهي أن الوحدة القائمة بين اليهود كانت اشد من الوحدة الظاهرة بين العرب ( البقية خضعت للمراقبة ) »(٥٣). والسبب الثالث هو ان القتال كان فقط جزءا من الرواية التي بدأت تتكشف . لقد كانت الجيوش العربية تسير بعملها بشكل حسن ولكن هناك معركة اخرى كان يجب خوضها وهي المعركة السياسية . وابتدأ الشعور باهمية التعاطف العالمي مع عدالة القضية العربية لضمان النصر العسكري ، لان الوقت الذي كانت فيه الامور تتم بأوامر الوزراء والسياسيين قد ولى ودخلت مرحلة جديدة لا يمكن فيها نكران قوة الرأي العام وتأثيره على الحكومات(٥٤). واخيرا فان كتاب الافتتاحيات العرب قد عزوا الفشل العربي للقوى العالمية الكبرى ، وخاصة روسية والولايات المتحدة ، ولذلك القوا باللوم عليهما . والذي الهب صدور العرب كان سرعة اعتراف روسية والولايات المتحدة بدولة اسرائيل الجديدة . ومرة اخرى ، فقد نظرت الصحف الى اقتراب موعد انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة على انها السبب الذي دفع الرئيس ترومان على ذلك العمل. « انهم باندفاعهم المتهور في الاعتراف بالدولة اليهودية قد شجعوا الحرب الاسرائيلية بشكل حاسم . ان هذه الدول العظمى قد سعت للحرب ولم تسع للسلام . ولا ريب ان الاسباب التي دفعت بهما لذلك ليست واحدة ، ولكن الحقيقة القاسية قائمة ، وسيسجل التاريخ ضد الولايات المتحدة انها لاسباب دعت اليها السياسة الداخلية ، ولاسباب انتخابية ، مع بعدها حوالي ستة او